﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩﴾ [الشعراء: 99]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بَـيـانُ الـعَـبَـدَةِ المشركين لسببِ ضَـلالِـهـم بعْـدَ اعـــتِرافِـــهـــم بصُدورِه عنهم

بعد اعترافِ العَبَدَةِ الغاوين بصدورِ الضَّلال عنهم، بل بانهماكهم في الضَّلال المبين، أعقبوا ذلك ببيانِ سببِ ضلالهم، والتَّقديرُ: (ما صدرَ عنّا ذلك الضَّلالُ الفاحش إلّا بسببِ إضلالِ المجرمين من ساداتنا وكُبرائنا لنا)[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَضَلَّنَآ﴾: أصلُ (ضلّ) يدلُّ على ضَياعِ الشَّيْءِ وذَهابِهِ في غَيْرِ حَقِّهِ[2]، يُقال: ضَلَّ في الأَمر ضلالًا؛ إذا لم يهتدِ لَهُ، وضلَّ في الأَرْض ضلالًا؛ إذا لم يهتدِ للسَّبيل[3]، وأَضَلَّهُ إِضْلالًا: ضيَّعه وأهلكه، وأَضَلَّهُ: وجَدَهُ ضالًّا[4]، وضلَّ الكافِرُ: غابَ عَن الحُجَّة، وضلَّ النّاسي؛ إذا غابَ عَنهُ حِفْظُه[5]، والضَّلال ضدُّ الهُدى، والمعنى في الآيةِ: إنْ كنّا لفي خَسارٍ وتَبارٍ وحَيْرَةٍ عَنِ الحقِّ[6].

2) ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: أَصْلُ الكَلِمَةِ مِن الجَرْم، وهو: القَطْعُ[7]، وقيل: أَصْلُه: الكَسْبُ، وفُلانٌ جَريمَةُ أَهْلِه، أي: كاسِبُهُم، ومنه سُمّيَ الذَّنْبُ جُرْمًا؛ لأنَّهُ كَسْبٌ لِصاحِبِه[8]، والإِجْرامُ: ارْتِكابُ الجُرْم، وهوَ الإِثْمُ العَظيمُ[9]، يُقال: أَجْرَمَ الرَّجُلُ؛ إذا ارْتَكَبَ ذَنْبًا، أو جَنَى جِنايَةً[10]،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 252.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ضلّ).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (ضلل).
(4) الزّبيدي، تاج العروس: (ضلل).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضلَّ).
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 116.
(7) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (جرم).
(8) ابن عباد، المحيط في اللغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (جرم).
(9) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 30/ 210.
(10) ابن عباد، المحيط في اللغة: (جرم).

والمُجرمُ في اصطلاحِ القُرآنِ هو الكافرُ، وقد عَنَوا بالمُجرِمينَ في الآية: الشَّياطينَ الَّذينَ زَيَّنوا لَهم عِبادَةَ الأَصْنامِ، وأَسْلافَهم الأَوَّلينَ الَّذينَ قلَّدوهم، واقتدوا بهم[1]، أي: كلُّ من دعاهم إلى عبادةِ الأصنام من الجنِّ والإنس[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يتابعُ اللّهُ سبحانه حكايةَ قولِ الغاوين المتندِّمين، فيقول: يقولون: وما صرَفَنا وأغْوانا عن الحَقِّ إلّا الضالّونَ من شياطين الجنِّ والإنس الَّذين زيَّنوا لنا عبادةَ الأصنام، فأنتَ تراهم في هذا الاعتراف ينفون عن الأصنام إضلالهم، ويحيلونه على المجرمين من الشَّياطين، وذلك بعد أنِ اتَّضح لهم الحال، فإنَّ الأصنام لا تباشرُ إضلال عابديها[3].

إلقاءُ الغاوينَ التَّبِعَةَ على المجرمينَ الَّذين أضلّوهُم، وصدُّوهم عن الهدى

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه جملة القَسَم ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4]، عطفوا يَرُدّون الملامةَ على غيرهم، أي: ما أضلَّنا إلّا كُبَراؤُنا وأهلُ الجرمِ والجراءة[5]، أي: جمعَ العطف بين اعترافهم بالضَّلال المبين وبين بيانِ سببه، وهو إغواءُ أئمَّة الكفر الذين ابتدعوا لهم الشِّرك، واختلقوا لهم دينًا باطلًا[6]، أو بينَ اعترافهم بالضَّلال وإقرارهم بمن كانوا خاضعين لهم، وهم أئمَّة الكفر[7]، أو حاليَّة[8]، والمعنى: (تاللّهِ إنْ كنا لفي ضلالٍ مبين، والحالُ أنَّه ما أضلَّنا إلّا المجرمون).

جمعُ المشركين الغاوين بين اعترافهم بالضَّلالِ المبين وبيانِ سببه

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 116، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 170.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 519.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 599، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 7/ 1596.
(4) الهرري، حدائق الرّوح والريحان: 20/ 270.
(5) الثّعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 4/ 231.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 154.
(7) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5374.
(8) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 96.

بلاغةُ القصرِ ونوعُه في الآية:

بيانُ الغاوين بأنَّ ضلالَهم الفاحشَ ليس إلّا بسببِ إضلالِ المجرمين لهم

القصْرُ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هو قصرٌ بالنَّفي والاستثناء، وليس المقصودُ منه قصرُ الإضلالِ على المجرمين دون عداهم، بل على مَعنى قصرِ ضلالِهم على كونِه بسببِ إضلالهم من غير أنْ يستقلّوا في تحقُّقِه، أو يكون بسبب إضلالِ الآخر، كأنَّه قيل: وما صدرَ عنّا ذلك الضَّلالُ الفاحش إلّا بسببِ إضلالِهم[1].

نكتةُ تكرارِ معنى الضَّلال في الآية:

في تأكيدِ الغاوينَ انهماكَهم في الضَّلال زيادةُ توبيخِهم لأنفسِهم وحسرتِهم عليها

في تكرار لفظِ الضَّلال في قول الغاوين، في قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، و﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ تأكيدُ اعترافِهم بنسبةِ الضَّلال لأنفسِهم وانهماكهم فيه، بما يدلُّ على زيادةِ توبيخِهم لأنفسِهم وحسرتهم وتأسُّفهم وتوجُّعهم بعد فواتِ الأوان.

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

الدَّعوةُ إلى عبادةِ غيرِ اللهِ من أعظمِ الآثام

التَّعبيرُ بالإجرام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، في وصفِ رؤسائهم وكبرائهم وآبائهم من أئمَّةِ الكُفر دون غيره من الأوصاف؛ لكونه الأنسبَ مع الأصلِ اللُّغوي للفظ الإجرام، فهو مِن الجَرْم، وهو: القَطْعُ[2]، فهؤلاء قد قطعوهم عن عبادةِ اللهِ الأحد، وابتَدَعوا لهم الشِّركَ، واختلقوا لهم دينًا، ولكون لفظ المُجرم في اصطلاحِ القُرآنِ هو الكافرُ، وفيه أَوْفَرُ نَصيبٍ مِنَ التَّعريضِ بالَّذينَ: ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: 74][3]، كما أنَّ فيه كذلك إشارةً إلى أنَّ الدَّعوةَ إلى عبادةِ غيرِ اللهِ من أعظمِ الآثام؛ إذ الجرمُ لا يُطلق إلّا على الذَّنبِ الغليظ، والإثْمِ العَظيم[4].

وقد آثر النَّصُّ القرآنيُّ التَّعبيرَ بصيغةِ اسم الفاعل دون الفعل،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (جرم).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.
(4) الكفوي، الكليّات، ص: 41، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 210.

فلم يقلْ: الذين أجرموا؛ زيادةً في إيضاحِ المعنى، وهو ثباتُهم ودوامُهم على وصفِ الإجرام، فهم العريقون في صفةِ الإجرام، الثّابتة فيهم، وقد قُضي عليهم بسبب إجرامِهم دخولُ النّار، قال تعالى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: 59]؛ وذلك لأنَّ اسم الفاعل من المشتقّات التي توضِّحُ المعنى، وتحدِّدُ الدَّلالةَ عليه بشكلٍ أدقَّ، وتدلُّ على ثباتٍ في الإجرام غيرِ محددٍ بزمن، وهي في قوَّة الفعل المضارع الذي يفيدُ التجدُّدَ والاستمرار.

العريقون في صفةِ الإجرامِ الثّابتون والمداومون عليها سببُ كلِّ إضلال

دلالةُ التَّعريفِ في: ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾:

التَّعريفُ في ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ مستعملًا في كمالِ الإجرام، فإنَّ من معاني اللام أنْ تدلَّ على معنى الكمال[1]، أي: "العريقون في صفةِ الإجرام، المقتضي لقطعِ كلِّ ما ينبغي أنْ يوصل"[2].

تعريفُ الغاوين المضلّين لهم بكمالِ الإجرام مبالغةٌ في سببِ غوايتهم

نكتةُ صيغةِ الجمع: ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾:

في التَّعبير بصيغة الجمعِ في ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ دلالةٌ على كثرةِ هؤلاء المجرمين الذي أضلّوا الغاوين، فهم أئمَّةُ الكفر الذين ابتدعوا لهم الشِّرك، واختلقوا لهم دينًا، أو الشَّياطين الذين زيَّنوا لهم عبادةَ الأصنام، وإبليس وابن آدم القاتل هما أوَّلُ مَن سنَّ الكفرَ والقتل وأنواع المعاصي[3]، كما أنَّ في التَّعبير بالجمع مراعاةً للفاصلةِ القرآنيَّة في الآيات، مثل: ﴿وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾، ﴿أَجۡمَعُونَ﴾، ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾.

محاولةُ الغاوين تسويغَ إضلالِهم بكثرةِ المجرمين المضلّين لهم في الأرض وتنوُّعهم

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجُرم والذَّنْب والإثم:

الجُرْمُ في أصل مادَّته هو القَطْعُ، جَرَمَ النَّخْلَ جَرْمًا: خَرَصَهُ،

الجرمُ هو الذَّنْبُ العظيمُ الذي يتناسبُ مع جنايةِ الكافرين العظيمة وهي الشِّرك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 154.
(2) البقاعيُّ، نظم الدّرر: 14/ 59.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 116.

وجَزَّهُ، وجَرَمَ عليهِم، وإليهِم جَريمَةً: جَنَى جِنايَةً، ومِمّا يُرَدُّ إلَيْهِ قَوْلُهُم: جَرَمَ، أَيْ: كَسَبَ؛ لِأَنَّ الَّذي يَحوزُهُ، فكَأَنَّهُ اقْتَطَعَهُ، والجُرْمُ: الذَّنْبُ؛ لِأَنَّهُ كَسْبٌ، والكَسْبُ اقتِطاعٌ[1]، فالجُرمُ هو ما ينقطعُ بهِ عن الواجب[2]، ولا يُطلقُ إلّا على الذَّنْبِ الغليظِ، والإثْمِ العَظيم، فالمجرمون: هم الكافرونَ[3]، وأمّا الذَّنْبُ؛ فهو اسْمٌ لفعلٍ محرَّم يَقعُ المَرْءُ عليْهِ عَن قصدِ فعل الحَرام[4]، وهو كلُّ معصيةٍ، صغيرةً كانت أو كبيرةً، وأصله: الأخذُ بذَنَبِ الشَّيء، وذَنَبُ الدّابة وغيرها معروف، ويُعبَّر به عن المتأخِّرِ والرَّذل، ثم استُعمل في كلِّ فعلٍ تستوخمُ عقباه، ولهذا يسمّى الذَّنْبُ تبعةً؛ اعتبارًا بما يحصلُ من عاقبته[5]، وأمّا الإثمُ؛ فأصله هو البُطْءُ والتَّأَخُّرُ، يُقالُ: ناقَةٌ آثِمَةٌ، أَيْ: مُتَأَخِّرَةٌ، والإثْمُ مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذا الإثْمِ بَطيءٌ عَنِ الخَيْرِ مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ[6]، والإثمُ: التَّقصيرُ، وسُمّيَتِ الخمرُ إثْمًا؛ لِأَنَّها تقصرُ بشاربها لذهابها بعقله، والإثمُ لا يكون إلّا تعمُّدًا[7]، فالإثمُ معصيةٌ وخطيئةٌ تستحقُّ على صاحبها الذمَّ، والإثمُ ما يحملُ على قلقِ النَّفس[8]، والإثْمُ: الذَّنبُ الَّذي يسْتَحقُّ العقوبَةَ عليْهِ، ولا يَصحُّ أَن يوصف بِهِ إلّا المحرَّم، سَواء أُريد بِهِ العقاب أم ما يسْتَحق بِهِ من الذُّنوب[9].

إذًا: فالجرمُ هو الجنايةُ والذَّنبُ العظيم، ولهذا ناسب أنْ يوصف به الكافرون من الشَّياطين أو الأوَّلون الذين عبدوا الأصنام؛ لعظيمِ ذنبهم، وهو الشِّركُ باللّه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّبيدي، تاج العروس: (جرم).
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 244.
(3) الكفويّ، الكليّات، ص: 41، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 210.
(4) الكفويّ، الكليّات، ص: 40.
(5) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ذنب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثم).
(7) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 233.
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس، وعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (إثم).
(9) الكفويّ، الكليّات، ص: 40.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»